على هذا السؤال ، في شيء من الاكاديمية والعمق والشمول . ولعل على رأس هذه الكتب كتاب «جوانب الرواية» للكاتب الانكليزي فورستر(٧). فهو خلاصة لتجاربه في ميدان الرواية والنقد . وثمة كتاب لا يقل فضلا عن كتاب فورستر ، وهو كتاب هنري جيمس « فن الرواية »(٨). وهناك كتاب ثالث عنوانه « بحث في الرواية »(٩) لمؤلفه الناقد البريطاني روبرت ليدل . وكتاب اخر عنوانه « صنعة الرواية »(١٠) لبرسي لوبوك .

والخلاصة التي يخرج بها الباحث من الكتب المذكورة ، وسواها ، ان الرواية تقوم على عدة اركان : الحكاية ، الشخصية ، الحبكة ، النموذج او الايقاع ، ثم الخيال الخلاق . وعناصر أخرى تختلف من عمل الى اخر . ومن عصر الى عصر .

وعند التطبيق نجد ان ما يقصد بكلمة الحكاية هو الزمن ، والاحداث ، والوقائع . اماالشخصية فيقصد بها عموم البشر الذين يشتركون في احداث الرواية . واما الحبكة فهي العمود الفقري الذي ينتظم الاحداث وفقا لقانون العلة والمعلول . ويتضح ان النموذج او الايقاع انما يعني الطريقة، او الشكل ، الذي يسكب القاص فيه عناصر عمله الروائي . فهناك طريقة السرد العادي . وهناك طريقة الرسائل. او المذكرات . وأما الخيال فهو القوة القادرة على صهر جميع الامور في بوتقة واحدة لصبها في القالب الروائي وكأنها مادة من معدن واحد .

واثناء التحليل الدقيق لرواية اميل حبيبي « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » يتضح ما يلي :

اولا : بالنسبة للحكاية او الزمان ، او الاحداث ، فهي تنسجم مع متطلبات البنية الروائية شكلا وفحوى . فمن الناحية الاولى يثير عنوان الرواية « الوقائع » احساسا اوليا بوجود الاحداث التي تتطلب وجود عامل الزمن والتتابع . وقد جعل اميل حبيبي روايته تدور عبر فترة زمنية واسعة جدا . فهي من الناحية الشكلية تبدأ منذ عام ١٩٤٨ ، وتنتهي حين الفروغ من كتابة السطور الاخيرة ، بل هي — في الواقع — لا تنتهي ، لان العبارات الاخيرة منهاأوحت بمطالبة القاص للقارىء ان يستمر معه في البحث عن شخصية ابي النحس.

على أن الرواية ، من الناحية العملية ، لا تكتفي بهذه الفترة الزمنية من ١٩٤٨ — ١٩٧٤ ، بل تزداد اتساعا من خلال ربط بعض الاحداث التي تمر بالاشخاص بفترات تاريخية سابقة اما طبقا لقانون التداعي ، او انطلاقا من سرد التفاصيل المتعلقة بأبي النحس . ففي المجال الاول يتقهقر المؤلف بنا الى فترات الحروب الصليبية ، والى عهد الجزار .. واحيانا صلاح الدين ، وتاريخ عكا . وعهد الانتداب ، وقد تأخذ وقفته عند بعض هذه الاحداث فترة طويلة او قصيرة ، وفي المجال الثاني يحلل نسب البطل ، فيرجعه الى اصول واغلة في القدم ، وهذه السمة من سمات الشخصية تمنحه حرية الحركة في الزمان .

وهنالك امر ثالث يكسبه المرونة الزمنية ، وهو ربط التعبير عن الحاضر بالتعبير عن الماضي . فكثيرا ما نجد الكاتب يعود بنا الى كتب الجاحظ ، أو الى الف ليلة وليلة ليصف الامير موسى وقد دخل الى مدينة النحاس . او الى كتاب رحلة بن بطوطة حين يصف اسوار عكا ، ومناخها ، وحركة السفن . فكأن الكاتب يريد ان يدمج الماضي في الحاضر ، وان يمزج الاسطورة بالواقع . وهذه الحركة ، في الزمان ، اساس من اسس العمل الروائي . ولا يضير الكاتب تصرفه بهذا العامل ، فهو نهج دأب عليه كتاب القصة المحدثون ... حتى اصبح اسلوبا عاما في الرواية الحديثة لدى وليم فولكنر وجويس وبروست(١١)، وان كانت الطريقة التي استخدمها اميل حبيبي تختلف عن طريقة هؤلاء الكتاب تمام الاختلاف .

ثانيا : بالنسبة للشخصية ، فانها تتجسد من خلال تسمية الرواية ايضا .

واذا كان فورستر قد استدل من تسمية بعض الروايات باسماء بعض شخصياتها مثل « اما » و« جين اير » و« أنا كارنينا » على أنها قصص تقوم في الدرجة الاولى على الشخصية(١٢) فان الاعتبار ذاته يسري على رواية اميل حبيبي ، وليست التسمية وحدها هي الدليل على أهمية الشخصية فيها ، بل هناك أيضا العناية ، والدقة ، في الاتكاء على هذه الركيزة الفنية .

ومع أن الشخصية اما ان تكون ثابتة او نامية فان اميل حبيبي جعل شخصية سعيد تجمع بين